الإحالة الفكرية لِخطاب ثَقافة الإرهاب في النص المسرحي العراقي

م.د علي عبد الامير عباس فهد الخميس
جامعة بابل/ كلية الفنون الجميلة

ملخص البحث

لعَل المَجال الذي يشتَغل عليه التثاقف الأيديولوجي هو مَجال تصيري مُتعلق بالجانب الحسي من حَياة الإنسان، وهو مجال يخضع للنِظام المُتغير في العالم حيث تنتفي الحقيقة فيه، لكن ومن خلال مجموعة المتغيرات التي تتمثل بالذات عندما تدخل في علاقة مع الأشياء، علاقة وصف مثلاً، فإنها تختار بشكل لا شعوري من بين هذه المتغيرات، الجانب الذي يستجيب لمتطلبات العلاقة التي تربطه بتلك الأشياء بإبراز عناصر تضعها في الواجهة وتهميش عناصر أُخَر، ولأن الأنسان بتكوينه السلوكي خيالي ، وفي فلسفة الحياة يُقال إن من يجَهل الشيء يعاديه ، حينئذ يتحول الى عدواني اتجاه محيطهِ الحياتي. وينفصل عن الواقع المُحيط به وتصبح له الحياة عبارة عن تِيه ومجهولة رغم التصور مِن أنه يستوعبها ويفهمها، هو يفهمها بصورة مغايرة لحقيقتها ، والصورة ليست دائما مطابقة لحقيقة الاشياء.

على هذا الأسَاس، يمكن القول بأن إحالة الفكر من خِلال فعل الِخطاب الارهابي يشتغِل عِبر فِعل الانتقاء ضمن مجال غني بالانتقاءات بشكل لا نهائي، إنها نسق تركيبي عاكس لبنية النسق الدلالي، تشتغل بشكل انتقائي غير آلي نظراً لكون عملية الانعكاس التي تقوم بها لا تتم بشكل كلي، وذلك كأي نموذج تواصلي تحكمه علاقة معقدة بالثقافي. وتتبني هذه العلاقة على أساس تبادل الأدوار، فتارة تقوم الثقافة الكائنة بتحديد النسق التواصلي بالموازاة مع النسق الإيديولوجي، وتارة أخرى يعمل النسق الكائن على خَلق ثقافة وأيديولوجيا جَديدة.

Abstract

The domain that ideological acculturation works on is an eventual one related to the sensory aspect of human life. It is subject to a varied system in the world where no longer the truth is found in it, but it is through the variables that represent the self when they enter into a relationship with objects, for example a descriptive relationship, they choose unconsciously from these variables. The side that responds to the requirements of the relationship that relates it to those things through highlighting the elements, lays them down in the interface and neglects other elements, and that is because man is in behavior fanciful. In the philosophy of life, it is said that the one who ignores knowing a thing, that thing would be hostile to him and here he turns into a hostile creature towards the surrounding life. And he is separated from the reality around him and his life goes astray and he becomes ignorant though his perception that he comprehends and understands life. He understands it differently and in this way the picture is not always corresponding to the truth of the things.

On this basis, we can say that the intellectual transference, through the speech act of terrorism, operates through an act of selection within an endlessly rich field of

selections. It is a reflective compositional style of its referential style and it operates selectively and spontaneously due to the fact that the reflection process carried out is not entirely done, so like any communicative model governed by a complexly cultural relationship. This relationship is built on the basis of role-play: sometimes culture limits communicative style in accordance with ideological style and another time it creates a new culture and new ideologies.

الفصل الاول

الإطار المنهجي للبحث

مشكلة البحث

إن العلاقة بين الكائنات في غاية الأهمية، وتُعتبر أمراً أساسياً بالِنسبة لأية عَملية في الارتقاء والتطور أو الانتفاء والهدم ؛ إذ يقوم الكائن على إيجاد علاقة مع كائن ثانٍ ويقوم بدوره على علاقة مع كائن ثالث وذلك بشكل لا نهائي، ومن خلال تفاعل المكونات البنيوية والتاريخية لكل الافراد وهي نفس العملية التي تخضع لها الآثار الإيديولوجية في تواجدها وتوالدها بحيث تعمل كل أيديولوجيا جديدة على هدم سابقتها بخلق أنساق جديدة منافية لنظام الأنساق الكائنة، لكونها تبحث دائماً من خلال سيرورة لا متناهية عن الممكن لضمان استمرارها، من هنا ارتبط تواجد الإرهاب وحواضنهِ دائماً بفكرة الصراع وبفكرة الوعي المزيف.

إن التحول من النص المغلق إلى النص المفتوح هو تحول يتم بفعل التدخل الإيديولوجي الذي يتنقل بدوره من مرحلة الخُمول إلى مرحلة التفعيل المنتجة، وبذلك يمكن التأكيد أن نقطة التماس بين النص والإيديولوجيا تجد منافذها في عنصر الاحالة والتحول من عالم النص الى عالم الدلالة من خلال بِنيات عميقة موغلة في الذاكرة الإنسانية وتميل إلى الحفاظ على الجَمع الفكري وبَعض الثوابت الراسخة، من خلال بِنيات سطحية تمنح للبنيات الأولى شكلاً ظاهراً عن طريق تقديم أشكال متنوعة ومتفاوتة لها، وذلك بفعل تسرُب بِنيات وسيطة تفرز لون خاص بها في المجتمع.

وبناءً على ما تقدّم، فإن مُشكِلة البحث الحالي تتَمحور بالاستفهام الآتي:
هَل ان خِطاب النص المسرحي العراقي يُحال من ثقافة فكرية مؤدلجة أم غير مؤدلجة ؟

أهمية البحث والحاجة إليه

يكشف البحث الحالي في مصطلح لطالما تعرض الى الكثير من النقاش لدى تواجده على أرض الواقع المُعاش الا وهو مفهوم خطاب ثقافة الإرهاب ، وفتح مُعطياته في ضوء النص المسرحي العراقي المُتاح في ثنايا البحث الحالي، فمُعطى المفهوم يبتدئ لدينا من النص نفسهِ، واستدعاء عناصر ووحدات غائبة عن ثنايا النص إلى أفقِ منظور فهو ذو ارتباط بسمات دلالية ذات تجسيد تتحكّم فيه روابط خفيه وظاهرية يُحدّد إطاره الإدراك والسلوكيات الفردية داخل المجتمع.

وتبرز الحاجة لموضوع البحث كمحاولة لتكريس الأُطر المفاهيمية، أملاً في أن يكون هذا البحث مُنطلقاً لدراسات أكاديمية مستقبلاً.

هدف البحث

يهدف البحث الحالي إلى الكشف عن:

- المُعالَجة الدِرامية لِخطاب ثقافة المَسرح العراقي ومَدى مَحمُولاتِهِ الفكرية من العقائد الايديولوجية.

حدود البحث

الحدود المكانية: جمهورية العراق.
الحدود الزمانية: ٢٠١١
حدود الموضوع: مفهوم وأبعاد الإحالات الفكرية لخِطاب ثقافة الإرهاب من خلال نص مسرحية (عرض بالعربي) للكاتب العراقي علي عبد النبي الزيدي

الإحالة (لغةً):

" إحالة مزدوجة: تنبيه القارئ في مكان من كتاب (أو مقالة) بالرجوع الى مكان آخر يعالج ما يتصل بالموضوع قيد الدرس وذلك لربط نواحي الموضوع الواحد بعضها ببعض " [1].

الإحالة (اصطلاحاً):

هي صنف من الاشياء تعُرف بطريقتين وهما " إما بتعداد العناصر المكونة للصنف(تعريف إحالي) وإما بالأخذ في الاعتبار الخصائص المشتركة لهذه الاشياء التي تكون هذا الصنف (تعريف إفادي) " [1].

---

[1] جماعة من كبار اللغويين العرب ، المجم العربي الاساسي (المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم لاروس) ص٣٦٦.

وهي ايضاً " علاقة بين الأسماء والمسميات ، فهي تعني العملية التي بمقتضاها تحيل اللفظة المستعملة على لفظة متقدمة عليها فالعناصر المُحيلة كيفما كان نوعها لا تكتفي بذاتها من حيث التأويل " [٢].

التعريف الإجرائي (الإحالة):

هي العملية التي تحُيل من لفظ الى آخر أكثر استعمال وتداول .

الخطاب (لغةً):

" خُطبَة : كلام الخطيب وهو ما يتكلم به الخطيب على جماعة من المواعظ الدينية... والخُطبة هي الكلام المنثور يُخاطب به متكلم فصيح جمعاً من الناس لإقناعهم " [٣].

الخطاب(اصطلاحاً):

" التجسيد الفعلي من قِبل المتكلم لمجموعة من الدلائل الموضوعة اجتماعياً على ذمته للتعبير عن فكره " [٤].

التعريف الإجرائي (الخطاب):

الدال الموضوعي للتعبير عن أفكار مجموعة من الاشخاص .

الثقافة (لغةً):

" ثَقُف الرجُلُ – من باب ظَرُف – صار حاذقاً خفيفاً ، فهو ثَقفٌ ، مثل ضَخم فهو ضِخمٌ ومنه المُثَاقفة ، وثَقِفَ – من باب طَرِب – لغة فيه . فهو ثَقِفٌ وثَقُفٌ ، كعَضُد " [٥].

" والمصدر ثقيف وثِقاف ويستعمل بمعنى الاصلاح فيقال مثلاً تثقيف البلد : إصلاح أمره أو تقوية وسائل دفاعه ... الثقافة : الحذق ومن هذا قيل أهل الثقافة وهم أهل الحذق والبراعة " [٦].

الثقافة (اصطلاحاً):

مصطلح في علم الاجتماع وهو " طريقة حياة مجتمع معين ، أو جماعة من الناس ، بما في ذلك أنماط تفكيرهم ومعتقداتهم ، وسلوكهم ، وعاداتهم ، وتقاليدهم ، وطقوسهم ، ولباسهم ... هي طريقة الحياة كلها المادية ، والروحية لمجتمع ما " [٧].

وهي ايضاً " مجموعة المعارف التي تميز الانسان المثقف من الكائن الجاهل ... وتعني مجموعة النظم الرمزية المتوارثة لدى جماعة " [٨].

التعريف الإجرائي (الثقافة):

الموروث المجتمعي للإنسان بكل محمولاته .

الإرهاب (لغةً):

" رَهِبَ ، بالكسر ، يَرهبُ رَهبَةٌ ورُهباً ، بالضم ، ورَهَبا ، بالتحريك ، أي خافَ أرهَبَه ورَهبَه واسترهَبَه: أخافَه وفَزَعه " [٩].

وهو" الإرهاب بالكسر : الإزعاج والإخافة " [١٠].

الإرهاب (اصطلاحاً):

---

[١] فرانك نوفو ، قاموس علوم اللغة ، ترجمة: صالح الماجري (المنظمة العربية للترجمة ، بيروت :٢٠١٢) ص٣٠.

[٢] نعمان بوقرة ، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب(دراسة معجمية) (عالم الكتب الحديث - جدارا للكتاب العالمي ، عمان : ٢٠٠٩) ص٨١ .

[٣] رينهارت دوزي ، تكملة المعاجم العربية ، نقله الى العربية وعلق عليه : محمد سليم النعيمي ، ج ٤ (خ - د) سلسلة المعاجم والفهارس(٣٢) (دار الرشيد للنشر ، العراق : ١٩٨١) ص ١٣٠.

[٤] فرانك نوفو ، قاموس علوم اللغة، مصدر سابق ، ص٢٤٣.

[٥] محمد محي الدين عبد الحميد و محمد عبد اللطيف السبكي ، المختار من صحاح اللغة (مطبعة الاستقامة ، القاهرة: دت) ص٦٣.

[٦] رينهارت دوزي ، تكملة المعاجم العربية ، نقله الى العربية وعلق عليه :محمد سليم النعيمي ، ج ٢ (ت- ث-ج) سلسلة المعاجم والفهارس (٣٢) (دار الرشيد للنشر ، العراق : ١٩٨٠) ص ١٠١- ١٠٢.

[٧] هتشنسون: معجم الأفكار والأعلام ، ترجمة خليل راشد الجيوسي (دار الفارابي، بيروت- لبنان : ٢٠٠٧) ص١٤٥ - ١٤٦.

[٨] بول آرون، دينيس سان، جاك، آلان فيالا، معجم المصطلحات الأدبية ، ترجمة: محمد حمود (المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت : ٢٠١٢) ص ٣٩٣ .

[٩] جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور: لسان العرب المحيط ، ج٢ (دار الجيل ، بيروت: ١٩٨٨) ص ١٢٣٧.

[١٠] محمد مرتضى الزبيدي: تاج العروس من جوهر القاموس ، ج١ (المطبعة الخيرية ، القاهرة: ١٣٠٦ه) ص ٢٨١.

" كل فعل إجرامي يقوم به فرد أو جماعة مُنظمة أستهدف فرداً أو مجموعة أفراد أو جماعات أو مؤسسات رسمية أو غير رسمية أوقع الاضرار بالممتلكات العامة أو الخاصة بغية الإخلال بالوضع الامني أو الاستقرار والوحدة الوطنية أو إدخال الرعب والخوف والفزع بين الناس أو إثارة الفوضى تحقيقاً لغايات "[١].

التعريف الإجرائي (الإرهاب):
كل قول أو فعل يؤدي بالنتيجة، الى إثارة وإشاعة الفوضى والرعب والخوف بين أفراد المجتمع الواحد.

الفصل الثاني

نُقاط التماس بين الفكر وثقافة الإرهاب عِبَر منافذ الخطاب

لعلَ الأمر الأكثر ضرورة للبشر هو التنظيم الالهي للطبيعة من خلال جَعل الحياة أكثر انتظاماً وفي النقيض نجد أن بعض البشر لا يشكُر النِعم التي أفاض الله عليه لابل يأخذ من إشاعة الفوضى سَبيلاً له في العيش المُطلق فتدمير المدُن وإحراقُها وقَطع أعضاء بني البشر هي سُبل العيش لديه فمِن غيرها لا يَحيا ولا يَعيش ويشعُر بالذِل والإهانة ، وإلغاء سُلطة الآخر والفوضى هي إحدى سبُلهِ أيضاً أما إحلال الامن والتصدي لهذه الأفعال الإجرامية تُمثل المَوت لوجودهِ ، بعَد أن كانت الحياة لديهِ عِبارة عن فُسحة من القتل لِوجود الآخر، هذا الآخر الذي يَجدُ فيه العُنف والقسوة فالبريء الذي يقُتل بـ(فعل الإرهاب) والذي يرُيد من الكل أن يكونوا رعاياه لابل الخضوع هي سِمة هؤلاء الرعية وطبعاً من يقع رهينة عنده يقع بانخداع.

إن الفوضى التي جاء بها المنتقمون هي شكل من أشكال البربرية الوحشية التي لا تَتفق والأعراف الإنسانية كون أن بَني البَشر هُم جِنس صالح للحياة على مدى العصور ويَخرج بين الحين والآخر من يريُد العبث بصالح الحياة عامة، فان نماذج مثل هؤلاء تُستحقُ أن تُزدَرى على مرِ الدهور والثمن الباهض الذي يُدفع اليوم من الدماء ما هو إلا تضحية من لدُن الشعوب لنيل استحقاقاتها المدنية في العيش بسلام على وجه المعمورة [٢].

أما الافكار فترتكز على العالم الباطني لا على العالم الخارجي فالفكر وتاريخه جُل اهتمامه بالأفكار التي تحمل الحظوة ذات الافُق الاوسع انتشاراً وعليه يكون الفكر هو العلاقة بين المجال المعرفي والحيز الذي تدور فيه الفكرة وحسب(فوكو) فانه يجد الهجرة بين الميادين المعرفية تكون " مناسبة لولادة مفاهيم فلسفية وتُفصِح عن نفسِها احياناً...تهجر المشكلات والمفاهيم والافكار المحورية الحقل الفلسفي الذي تشكلت فيه الى خطابات علمية او سياسية " [٣]. فالأفكار وتأريخُها تُحاول أن تتجاوز الفكر الفردي للولوج الى الفكر العام المتأثر بالفكر المجتمعي المشترك وبالفعل هنالك علاقة بين الحقيقة الفعلية والاصول التاريخية للفكر، فالأفكار ليست مجردة من نتاج ذات الفكر في لحظة ما من التاريخ ، فاذا ما اردنا ان نُدرك فكرةً ما علينا ان نجد البعد التاريخي لها لبيان المعاني والتي تتركز حول افكار قد تكون مجرد صادرة لتؤثر في القواعد العريضة في المجتمع وثمة افكار في التاريخ الانساني لا تُحسب كأفكار عادية بل تتوجه صوب الايمان والاعتقاد بها، جنباً الى جنب لا يمكن تخطي الثقافات المكتسبة والشعبية منها. فالعلاقة بين الاصل التاريخي وحقيقة الافكار ليست بمجردة من نتاج الفكر ذاته بل لها علاقة وطيدةً ، فلفهم تلك الفكرة علينا ان نراها وهي في أصل بُعدها التاريخي لبيان الماهية التي هي فيها . والبحث والتقصي في العمق الخاص بالتجربة الفكروية يُمكنُنَا من ايجاد الاصل لهذه الفكرة والتقرب من الحقيقة شيئاً فشيئاً فالعلاقة التي تُبنى بين الافراد في غاية الأهمية، وتُعتبر أمراً أساسياً بالنسبة لأية عملية في التطور والارتقاء أو الهدم والانتفاء؛ بحيث يقوم فرد ما على علاقة مع فرد ثانٍ ويقوم بدوره على علاقة مع فرد ثالث وذلك بشكل لا نهائي، ومن خلال التفاعل في المكونات البنيوية والتاريخية لكل فرد وهي نفس العملية التي تخضع لها الآثار الإيديولوجية في تواجدها وتوالدها بحيث تعمل كل أيديولوجيا جديدة على هدم سابقتها بخلق أنساق جديدة منافية لنظام الأنساق الكائنة، فالأفكار تبحث دائماً من خلال سيرورة لا متناهية عن الممكن لضمان استمرارها.

---

[١] ينظر: احمد محمود عطية: الرواية السياسية – دراسة نقدية في الرواية السياسية العربية(مكتبة مدبولي ، مؤسسة مطابع معتوق ، القاهرة- بيروت : دت) ص ١٢ .

[٢] ينظر: تيري ايجلتون : الإرهاب المقدس ، ترجمة: اسامة اسبر(بدايات للطباعة والنشر والتوزيع ، سوريا : ٢٠٠٧) ص٢٠ -٢٢.

[٣] ميشال فوكو : حفريات المعرفة ، ترجمة : سالم يفوت (المركز الثقافي العربي ، بيروت – الدار البيضاء : ١٩٨٧) ص ١٢٧.

وبناءً عليه، فأن إدراك حقيقة الفعل يتم داخل حدود هذا العالم المرجعي، وهو الأمر الذي يؤدي في النهاية إلى القول بتداخل العالمين الحقيقي والواقعي إلى درجة يُصبِح معها الواقع وهو الحقيقة الموجودة وتُصبح الحقيقة مجرد (وهم مرجعي) وحقيقة هذا الوهم هي كالتالي:

بما أنّ الحقيقي الذي يُمثل مدلولات تقريرية، قد تم حذفه من التلفظ الواقعي، فأنه يعود إليه على شكل إيحائي. أنّ هذا التوازي بين اختفاء الحقيقي وراء الواقعي واختفاء التقريري وراء الإيحائي، ناتج عن اتجاه الفكر نحو إثبات الواقع انطلاقاً من فِهم مُتغيراته وتفسير مُتناقضاته بقصد التَخلي عن الفكرة .

وانتشار الأفكار يكون من خلال ثلاثة محاور وهي الاتجاه الافقي (بيئة ثقافة الفكر) والاتجاه الرأسي (تأريخ الفكر) والعمق (تقاطعات البيئة مع الثقافة) [1] وحسب (فوكو) فأن تأريخ الافكار ونشأتها قائم من خلال النشأة وكذلك الاتصال ويُعَد هاذين الشقين هُما الأفكار المحورية لتأريخ الفكر والهجرة بين البعض والآخر من الافكار تتم لإبراز الاختلاف فيما بين الميادين لولادة مفاهيم جديدة وبرأي (غولدمان) إلى ولادة وعي جَماعي مُرتبط بفئات اجتماعية ويلتقي التصوران حول فكرة جوهرية بخصوص مفهوم النص، وتتجلى هذه الفكرة في تأكيد البُعد الحركي لهُما وإثبات عُنصر التحويل، فبالنسبة لـ(كريستيفا) توجِب بالوجود للانتقال من النص الظاهر والوظيفة التواصلية إلى النص المكون ووظيفة التدليل التقاء التصوريين، للتمكُن من إنجاز التحليل الدلالي الرامي إلى الربط بين ما هو لِساني وما هو اجتماعي. أما بالنسبة لـ(غريماس) فيُخضِع المَسار التوليدي الدلالي لسُلطه من التحويلات التي تُقنن عملية المرور من مستوى إلى آخر، ليُمثِل عُنصر الأفكار هذه البؤرة التي تَنشُط داخلُها مَشاريع الإيديولوجيات.

ترى (كريستيفا) من منطلق يُحدد النص في التحول ويحدد التحويل في علاقة مزدوجة تربِط بين الأجزاء والكلية النصية من جهة، وبين الكلية النصية والكلية الاجتماعية من جهة أخرى ، أن الإيدلوجم هو وظيفة تناصية ينفتح بالنص على المُجتمع وعلى التاريخ وينُفعنا هذا التحديد في فِهم طَبيعة التَدخُل الإيديولوجي في النص فهو تدخل مكثف ومتواصل يتجسد في مختلف مستويات بنية كل نص وينتشر على طول امتداده مانحاً إياه محدداته التأريخية والاجتماعية، ولكن بتحليل يواكب التشكلات النصية ويراعي توضيح الوظائف التي تؤديها القيم الخارج نصية عند تحولها إلى قيم داخل نصية، ولتحليل أيدلوجم العلاقة داخل النص تقترح (كريستيفا) نمطين من التحليلات وهما:

١. التحليل المقطعي للملفوظات داخل حدود النص الذي سيكشف لنا عن المهمة كنص مغلق.
٢. التحليل التناصي للملفوظات، الذي سيكشف لنا عن العلاقة ما بين الكتابة والكلام داخل النص المسرحي.

ينطوي هذا التحليل على رؤية مزدوجة للنص المسرحي الذي يُمَثل على شكل نص(مغلق و مفتوح) فهو من جهة حكي وظاهرة لسانية لها حدودها المَرنة الخاصة التي تضعها الكتابة، وهو من جهة أخرى موضوع وإنتاج خِطابي يَعمل فيه الكلام على تجاوز حدود الكتابة ليَصل بالمُتلقي الى أُفق أبعد مما هو عليه النص في لحظة الكتابة . إن التحول من النص المغلق إلى النص المفتوح هو تحول يتم بفعل التدخل الإيديولوجي للفكر الذي يتَنقِل بدورهِ من مرحلة الخمول إلى مرحلة التفعيل المُنتِج، وبذلك يمكن التأكيد على أن نقطة التماس بين الفكر وايديولوجيا(الإرهاب) داخل النص المُمَسرح يجد منافذهُ في عُنصر الإحالة.

يُمثَل عالم النص وعالم الدلالة من خلال بِنيات عميقة متوغلة في الذاكرة الإنسانية التي تَميل إلى الحفاظ على الكليات الفكرية وبعض الثوابت الراسخة، ومن خلال بِنيات سطحية تمنح للِبنيات الأولى شكلاً ظاهراً عن طريق تقديم تحققات متنوعة ومتفاوتة لها، وذلك بفعل تسرُب بِنيات وسيطة تفرز تلك التحققات وتُعطيها لونها الخاص.

ويجد البعض أن التفسير الأدبي الذي يتجاهل الدلالات التاريخية والأيديولوجية، ويحصر نفسه في دائرة التحليل اللغوي الداخلي فحسب، يفقد الكثير من أهميته؛ لأنه يفصل الأدب عن تاريخ الفكر الإنساني وفي مجال قياس صدق الصورة التي يُقدمها العمل الفني للعالم، ويُثبت آخرين أن بعض المفسرين يُحاولون قياس درجة الصدق عن طريق مقياس العمل الفني مقارنة تفصيلية ودقيقة بالحقيقة التاريخية، في حين يلجأ بعض المفسرين على تأكيد صدق النص أو زيفه، انطلاقاً من موقف أيديولوجي مُسبق، يتم طرحه.

---

[1] يُنظر: عصام عبد الله ، الاسس الفلسفية للعولمة ، الكتاب الاول ، اصدارات المجلة العربية (مكتبة فهد الوطنية للنشر ، الرياض : ٢٠٠٩) ص ٢٨.

إن الكاتب لهذه الحالة يُقدم وجهة نظره وتفسيره إلى القارئ والتي لا ينبغي للقارئ ان لا يتشكك في صحة آرائه. إن القارئ عندما يُقبل على مِثل هذه التفسيرات التي تنبع من مواقف فكرية يطرحها المُفسر منُذ البداية ضمناً دون تبرير، فإنه لا يقبل تفسيراً مُعيناً للنص فحسب، ليستوعب أيضاً موقف المفسر الفكري أو الأيديولوجي من النص ومن العالم. وربما كان هذا هو السبب في نشأة المدرسة التفكيكية التي تقوم على التشكك في طبيعة التفسير وصدقه، وتحاول أن تُثبت أن تفسيره يمكن نقضه من داخله، بكشف أوجه التناقض فيه، وذلك بفحصه وتحليله من منظور أيديولوجي مخالف؛ وكذلك يمكن نقضه من داخل النص الأدبي نفسه، بتقديم تفسير معارض له.

أنه ليس هناك إطار معرفي واحد يصلح لتفسير جميع النصوص؛ وذلك لأن النصوص نفسها، بوصفها أبنية معرفية، تتصل اتصالاً وثيقاً بالعالم الخارجي، إما عن طريق الإحالة المباشرة ، أو عن طريق التشويش المُتعمد لهذه الإحالة. كذلك قد يفرز النص أحياناً دلالات لا يستطيع حصر احتوائها داخل إطاره المعرفي، وتتطلب إطاراً معرفياً آخر.

لم يكن الادب اليوم عموماً والمسرح بالأخص معزولاً عن أي فكر جديد يسود الساحة الادبية والنقدية ومحط أنظار المُفسرين له ومهمة الادب في مثل هذه الوضعية تصحيح المفاهيم لا الخلط بينها فـ(الإرهاب) لم يكن ليرتبط بدينٍ أبداً بل هو صنيعة غربية محضة أُريد لها أن تنبُت في أرضٍ هم يخططون لها بعد ان يجدوا الحاضنة المُلائمة لها ، واليوم تحاول النصوص الابداعية والمسرحية منها التصدي للظاهرة في داخل البلد ، فالنص المسرحي هو الجنس الادبي الذي يُمكن أن يوغِل داخل ثنايا هذه الظاهرة العالمية الخطِرة مع التِزام المُبدع بقضايا مجتمعه الخاصة ، وجعل الادب سِلاحاً لمُقارعتهِ .

الفصل الثالث

إجراءات البحث

أولاً: مجتمع البحث

يشتمل مجتمع البحث على جميع النصوص المسرحية المؤلفة من قبل الكاتب العراقي علي عبد النبي الزيدي مُشكّلة بذلك مجتمع البحث الحالي.

ثانياً: عينة البحث

اعتمد الباحث في استخراج العينة بالاعتماد على الطريقة القصدية في اختيار عينة البحث الحالي وهو نص مسرحية (عرض بالعربي)[*].

ثالثاً: منهج البحث

تم اختيار المنهج (الوصفي التحليلي) في تحليل عينة البحث الحالي، بوصفه الطريقة الأنجح ، بما يتناسب مع ما يرمي إليه البحث.

رابعاً: تحليل عينة البحث

نص مسرحية (عرض بالعربي)

لعل أهم أسباب اختيار هذا النص المسرحي العراقي بعد التراتبية المتعارف عليها في إقامة منهجية البحث الاكاديمي هو إحالته الاولى لشكل من أشكال الإرهاب المُستر والذي جاء من خلال عدة شخصيات ومنها حوار شخصية (رجل المزاد) من بعد ان أوقف تحركات كافة الشخصيات وهو ينادي بالطريقة الاستعراضية المعتادة لأصحاب المزادات

رجل المزاد : " مرحباً بكم ايها السادة في مزادنا العلني ، أتمنى ان نقدم لكم كل ما هو جديد ومهم ومثير ، اليوم سأُفاجئكم بما لم يخطر على بالِكُم ، اليوم يوم الدهشة ، البطولة ، يوم الشجاعة وقطع الرؤوس... "[1].

(تسري همهمة بين الجميع ، هنالك أسئلة ، خوف ، قلق ، ترقب. أصوات أبواب تُغلق ، نوافذ...) هذه إحالة جاءت من على لسان كاتب النصالمسرحي وتدعو المتلقي لهذا النص لِما هو آتٍ من بعد ، هذا الخطاب المشحون لا بل الممتلئ والمُثقل بأيديولوجيا الموت وعقيدته الغنية برؤى التعذيب والاحتقان ولعل الاقتران الأقرب للإحالة بمصطلح رجل المزاد (يوم الشجاعة وقطع الرؤوس) هي المُحاكاة التهكمية والساخرة لفلسفة تدور حول قطع الرؤوس لفعل القتل ، ولعل العلاقة بين الكلمات التي جاءت من على لسان الشخصية

(*) علي عبد النبي الزيدي: عرض بالعربي ، سلسلة الابداع المسرحي ، العدد ٢ (دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد : ٢٠١١) ص٤٣-٨٤ .

(١) المصدر السابق ، ص٤٥ – ٤٦ .

وبين التمثيلات الذهنية التي تطابقها هي علاقة الدلالة الدالة على مدلولاتها بالفعل هي العلاقة التي تجمع الكلمة بالارتباط بالشيء الخارجي وامكانية الانتماء لبعض الكلمات وكما جاء في حوار شخصية (الرجل العجوز) :

الرجل العجوز: " رؤوس ؟ ! الله يستر.... " [١]

وكذلك حوار شخصية الرجل البدين وكما في الحوار الآتي :

رجل بدين: " يبدو إننا قد دخلنا الى هذا المكان عن طريق الخطأ . (يصيح) أنقذونا ، أنقذونا... " [٢]

وكذلك حوار شخصية الرجل القصير القامة وكما في الحوار الآتي :

رجل قصير القامة: " قطع رؤوس ؟ هذا يعني أننا رهائن (يصرخ) رهائن ؟ نحن ، لا .. أرجوكم . " [٣]

وكذلك شخصية الرجل القصير في حواره وهو يحاول النظر الى رجل المزاد :

رجل قصير القامة: " أنا لا أرى شيئاً " [٤]

وايضاً حوار الرجل العجوز والفعل الذي قام به

رجل عجوز: " (ينزوي) اللهم اغفر لنا يا الله ...(يُخرج من جيبه كتاباً ويبدأ بالقراءة مع نفسه) . " [٥]

وأيضاً ما جاء على لسان شخصية الرجل البدين

رجل بدين: " مُختَطفون ؟ (بخوف) متى خُطِفنا ؟ ومَن هي الجهة التي خَطفَتنا " [٦]

كل هذه الحوارات التي جاءت من على لسان الشخصيات لم تصل الى ذروة الفعل الايحائي للخِطاب ، إلا من خلال حوار الشخصيتين (الرجل الطويل القامة و الرجل القصير القامة) وهما:

رجل طويل القامة: " (يُشير الى رجل المزاد) لكنه بلا لحية ! " [٧]

رجل قصير القامة: " لحية ؟ نعم بِلا لحية " [٨]

لعل الإحالة ، التي أتت من خِلال الكاريزما المتكونة في الشعور الداخلي للشخصيات، هي (اللحية) لشخص الارهابي وهذه الكاريزما المتكونة في الشعور الداخلي هي الإرهاب المُعلن للنظارة وليس الإرهاب المُستتر .

كل هذه الاسئلة وغيرها تُطرح من خلال النص المسرحي(عرض بالعربي) ولعل ما مَر من ويلات على هذا الشعب الجريح هي من رمت بظِلالِها على الشعور الجمعي للإحالات التي جاءت بها ولعل الإحالة التي جاءت من خلال حوار شخصية (الرجل العجوز) هي إحالة نابِعة من أصل الفِعل السلوكي الذي لطالَما أرتبط بالسلوكيات العدوانية لهذه الجماعات التي تتبنى الفعل الإرهابي (خِطاباً ، فِكراً ، ايديولوجيةً ، تكفِيراً) وهذا الحوار هو

رجل عجوز: " الهي...لم اكن اتمنى ان أموت بهذه الطريقة ، رأس هنا وجسد هناك...(يدعو) يا لله يا لطيف ، الطف بنا يا رب... " [٩]

وأيضاً ذلك الحوار الذي جاء من على لسان شخصية (الشاب)

شاب: " نُذبَح ، ما أروع ذلك، نُذبَح كالدجاج انها طريقة تجعلنا نقرأ ماضي الاجداد التليد ذلك التاريخ الذي بدأ برقبة ولن ينتهي الا بمليار رقبة ! كم اشتهي أن أُذبح اذبحوني أرجوكم أتوسل اليكم ، انا دجاجة ليس إلا ، أُريد ان ادخل التأريخ برأس مقطوع " [١٠]

حفار القبور: " رأس ، رأسان ، ثلاثة ، اربعة رؤوس ، عشرة.. تكفي، لا تكفي ، كل شيء قد تغير ، الابطال عاطلون عن قطع الرؤوس... " [١١]

الحكواتي: " اطمئنوا ..الحكاية من اولها الى آخرها قطع رؤوس ورؤوس"[١]

---

[١] علي عبد النبي الزيدي: عرض بالعربي ، مصدر سابق ، ص٤٦.
[٢] المصدر السابق ، ص٤٦.
[٣] المصدر نفسه ، ص٤٦.
[٤] المصدر نفسه ، ص٤٦.
[١] علي عبد النبي الزيدي: عرض بالعربي ، مصدر سابق ، ص٤٦.
[٢] المصدر السابق ، ص٤٦- ٤٧.
[٣] المصدر نفسه ، ص٤٧.
[٤] المصدر نفسه ، ص٤٧.
[٥] المصدر نفسه ، ص٤٧.
[١] المصدر السابق ، ص٤٧.
[٢] المصدر السابق ، ص٥٠ - ٥١ .

صوت: " سيقتلوننا ويسبون النساء "[٢]
الممثل: " ...ان الناس في هذا العالم مجرد اعداء يلزم ان تقطع رؤوسهم "[٣]
صوت٢: " سيُقتلون ويُنهبون ويُحرقون "[٤]

ومن خلال نص مسرحية الكاتب المسرحي العراقي علي عبد النبي الزيدي (عرض بالعربي) نجد ان احد اهم سمات الخطاب النخبوي هو ذلك الفكر الذي يؤسس لفترة من الايديولوجية تكشف عن خضوع المسرحية منذ أولى خطوات إنتاجها لنفس النسق، فالكاتب يجد نفسه مُرغماً على مواجهة هذا النسق، وتحديد موقعه منه؛ فأما أنه مع الأيديولوجيا السائدة وأما إنه يملُك موقفا مُخالفاً، وفي كلتا الحالتين يكون مُنتجا لأيديولوجيا معينة. فالكاتب عندما يؤلف عمله، يندمج بالضرورة مع نسق الإنتاج الإيديولوجي الموجه نحو إخفاء نسق الإنتاج الملموس خلف خلافاته وصراعاته، ومن ثم فأن الكاتب مهما فعل ومهما حاول أخذ مسافات تجاه أيديولوجيات وأفكار وصراعات الطبقات، لأنه يريد قبل كل شيء مواجهتها أو ربما العمل على انسجامها، فأن هذا المنحى الأيديولوجي الإرادي يمثل بحق أيديولوجية فكرية . والأيديولوجيا نفسها فكرة ليست بسيطة ، ذات معنى واضح ومحدد. فهي تُستخدم أحياناً في بعض السياقات استخداماً وصفياً مُحايداً، وفي هذه الحالة تتنفس دلالاتها، كما يحدث مثلاً في حالات متعددة عندما تتصدى لوصف نظام ثقافي ما، موضحة المعتقدات والروابط الأسرية والأنظمة القانونية التي تحكُمها، وكيفية تفاعل الفكرة في ارتباطها بفرد داخل مجموعة ، وفي ضوء تأثيرها على هذا الفرد، وفي الأيديولوجيات الصريحة تحتل فكرة الترابط المنطقي، والتماسك مكاناً بارزاً.فالاستثمار الجدلي للمواقف المتواجدة لشخصيات النص المسرحي والخطابية التوزيعية عند الشخصيات هما اللتان تبنينان النمذجة وذلك الجو المشحون بالخوف والرعب من الآخر المجهول داخل الفضاء التطوري للنوع المُمسرح من هذا النوع من النصوص ، ولعل التنوع الثقافي والاجتماعي هو من أهم وأبرز السمات المجتمعية وما يسود المجتمع العراقي هو ذلك التنوع والتعدد الثقافي والاجتماعي والانسجام هو ما يُميزه ايضاً ، ان النص المسرحي الذي بين ايدينا هو نص مُعاصر يتبنى في مفاصله التصدي لموضوعة الإرهاب من خلال الفكر المُتطرف الذي تنشُره هذه الجماعات او من خلال الملابس التي ترتديها هذه الجماعات او من خلال اللحى وما تفعله من تلقي في نفوس الآخرين فالإرهاب اليوم يتجاوز كل فعل إجرامي أو عمل عُنفي بل ما يُلحقه من الأثر السلبي في عقول ونفوس الآخرين من خلال شتى المجالات سواء أكانت النفسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية إذ أنه يستخدم العُنف والترهيب والقتل وشتى أنواع القوة وترويج الخِطاب الترويعي ومُمارسة العُنف المادي والمعنوي المُفرط من أجل إرغام الآخر بالاعتراف بوجوده .

وهذا التماهي فيما بين الواقعي المُعاش والاسطوري الذي جيء به من قبل الجماعات ، ينطوي على إشكالية هوية الجماعة التي أرادوا من خلالها التغلغل والنفاذ الى داخل المجتمع وجسده .

الفصل الرابع

النتائج

١- جاءت إحالة خِطاب الثقافة الإرهابي فكرياً برؤية لطبقة وليست رؤية للعالم وكما وجدناه في نص مسرحية (عرض بالعربي) من خلال شخصيات متعددة مثل شخصية الـ(الرجل العجوز، رجل بدين، رجل قصير القامة، رجل بدين، رجل طويل القامة، شاب).

٢- عجزت إحالة خِطاب الثقافات الإرهابية فكرياً عن إنتاج نوع من الانظمة الشمولية المؤثرة بصورة فاعلة والتي قد تتخلل نسيج التجربة المُعاشة في المجتمع وكما وجِد من خلال شخصيات النص المسرحي العراقي عرض بالعربي (رجل المزاد ، حفار القبور).

٣- تحول الانموذج الطبيعي (خِطاب الثقافة المجتمعي) بين الحين والآخر، الى افكار تتقبل هذه الحاضنة كشخصيات الـ(الرجل العجوز، رجل بدين، رجل قصير القامة، رجل بدين، رجل طويل القامة، شاب).

---

[٣] المصدر السابق ، ص ٥٨ .
[٤] المصدر السابق ، ص ٥٨ .
[٥] المصدر السابق ، ص ٥٩ .
[٦] المصدر السابق ، ص ٧٠ .

الاستنتاجات

١- يَظهر فعل الإحالة لخِطاب الثقافة الإرهابي فكرياً ومن خلال النص المسرحي العراقي بجلاء في المجتمع، من خلال أسلبة الحقوق المشروعة للفرد، لابل الايهام بمنحه حقوق قد غيبتها السياسات السابقة سواء كانت حقوقاً طبيعية أو حقوقاً مكتسبة.

٢- من الدواعي الحقة لِظهور فكر مُحال من خِطاب ثقافي لنص مسرحي عراقي، هو الانصراف إلى خدمة مصالح طَبقة، أما باقي فئات المجتمع فتَظل مَحرومة او تشُعر بالبُعد من حقوقها، مِما يَجعل الهوة كبيرة بين الطبقات المجتمعية.

٣- بداية ظهور التحول الفكري لدى خِطاب الثقافة المؤسِس للنص المسرحي العراقي ، من خلال العلاقة الغير كفؤة بين الفرد والدولة، والتي يسودها الطبقية، وفي مثل هذه العلاقة تؤدي إلى اختِلال في بِنية المجتمع ، وعليه يتولد شعور لدى الفرد بالغُربة فيتوجه صوب أقرب الايديولوجيات والتي يشعر بأنها قريبة من تطلعاته.

٤- يُعيد خِطاب المُثاقفة ، للنص المسرحي العراقي ومن خلال موضوعة الإرهاب، إنتاج ذاته من خلال ظهور مراكز قوى هي ليست بِذي كفاءه على أسَاس فقدان الحقوق وبالتالي تُصبح أُسس الفكر وإحالاته في معرض المُزايَدات لدى مراكز القوى.

٥- جاءَ إنتاج الإحالة الفكرية لخِطاب ثقافة النص المسرحي العراقي ومن خلال موضوعة الإرهاب ، على خلفية عَقيدة الموت التي لطالما ارتبطت بالأفعال العدوانية للإرهابيين .

التوصيات

في ضوء الدراسة الحالية يوصي الباحث بالآتي:

١. الاستمرار في الحوار بين مختلف طبقات المجتمع وفئاته.
٢. تعزيز قيم الحرية الدستورية وتمكين المواطن من ممارسة الحقوق المدنية.
٣. الانفتاح حول الآخر في شتى مجالات المعرفة كون ذلك يوفر قدر كافٍ من المعرفة والدراية.
٤. عقد المؤتمرات والندوات التعريفية والتي تتضمن توضيح مسار ومفهوم خِطاب الإرهاب وفعلهُ داخل المجتمع.

المقترحات

١. دراسة الخطاب الايديولوجي الغربي وأثرهُ في كتابة النص المسرحي العراقي.
٢. دراسة الازمات التي تحيط بالشخصية المسرحية (أيديولوجيا الارهاب أنموذجا)

مصادر البحث

اولا : المعاجم والقواميس
١- بول آرون، دينيس سان، جاك، آلان فيالا، معجم المصطلحات الأدبية ، ترجمة: محمد حمود (المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت: ٢٠١٢)
٢- جماعة من كبار اللغويين العرب ، المعجم العربي الاساسي (المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ،لاروس)
٣- جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور: لسان العرب المحيط ، ج٢ (دار الجيل ، بيروت: ١٩٨٨)
٤- نعمان بوقرة ، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب(دراسة معجمية) (عالم الكتب الحديث ، جدارا للكتاب العالمي ، عمان : ٢٠٠٩)
٥- رينهارت دوزي ، تكملة المعاجم العربية ، نقله الى العربية وعلق عليه :محمد سليم النعيمي ، ج ٢ (ت-ث-ج) سلسلة المعاجم والفهارس (٣٢) (دار الرشيد للنشر ، العراق : ١٩٨٠)
٦- رينهارت دوزي ، تكملة المعاجم العربية ، نقله الى العربية وعلق عليه :محمد سليم النعيمي ، ج ٤ (خ - د) سلسلة المعاجم والفهارس (٣٢) (دار الرشيد للنشر ، العراق : ١٩٨١)
٧- روزنتال بودين: الموسوعة الفلسفية، وضع لجنة من العلماء والأكاديميين السوفياتيين، ترجمة: سمير كرم، ط٩ (دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت: ٢٠١١)
٨- فرانك نوفو ، قاموس علوم اللغة ، ترجمة: صالح الماجري (المنظمة العربية للترجمة ، بيروت :٢٠١٢)
٩- محمد محي الدين عبد الحميد و محمد عبد اللطيف السبكي ، المختار من صحاح اللغة (مطبعة الاستقامة ، القاهرة: دت)
١٠- محمد مرتضى الزبيدي: تاج العروس من جوهر القاموس ، ج١ (المطبعة الخيرية ، القاهرة: ١٣٠٦ه)

١١- المعجم الفلسفي ، مجمع اللغة العربية (الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة : ١٩٨٢)
١٢- هتشنسون: معجم الأفكار والأعلام ، ترجمة خليل راشد الجيوسي (دار الفارابي، بيروت- لبنان: ٢٠٠٧)
ثانياً : الكتب
١٣- احمد محمود عطية: الرواية السياسية – دراسة نقدية في الرواية السياسية العربية(مكتبة مدبولي ، مؤسسة مطابع معتوق ، القاهرة- بيروت : دت)
١٤- تيري ايجلتون: الإرهاب المقدس ، ترجمة: اسامة اسبر(بدايات للطباعة والنشر والتوزيع ، سوريا : ٢٠٠٧)
١٥- عصام عبد الله ، الاسس الفلسفية للعولمة ، الكتاب الاول، اصدارات المجلة العربية (مكتبة فهد الوطنية للنشر ، الرياض : ٢٠٠٩)
١٦- علي عبد النبي الزيدي: عرض بالعربي ، سلسلة الابداع المسرحي ، العدد ٢ (دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد: ٢٠١١)
١٧- ميشال فوكو: حفريات المعرفة ، ترجمة : سالم يفوت (المركز الثقافي العربي ، بيروت – الدار البيضاء : ١٩٨٧)